طبق الاصل

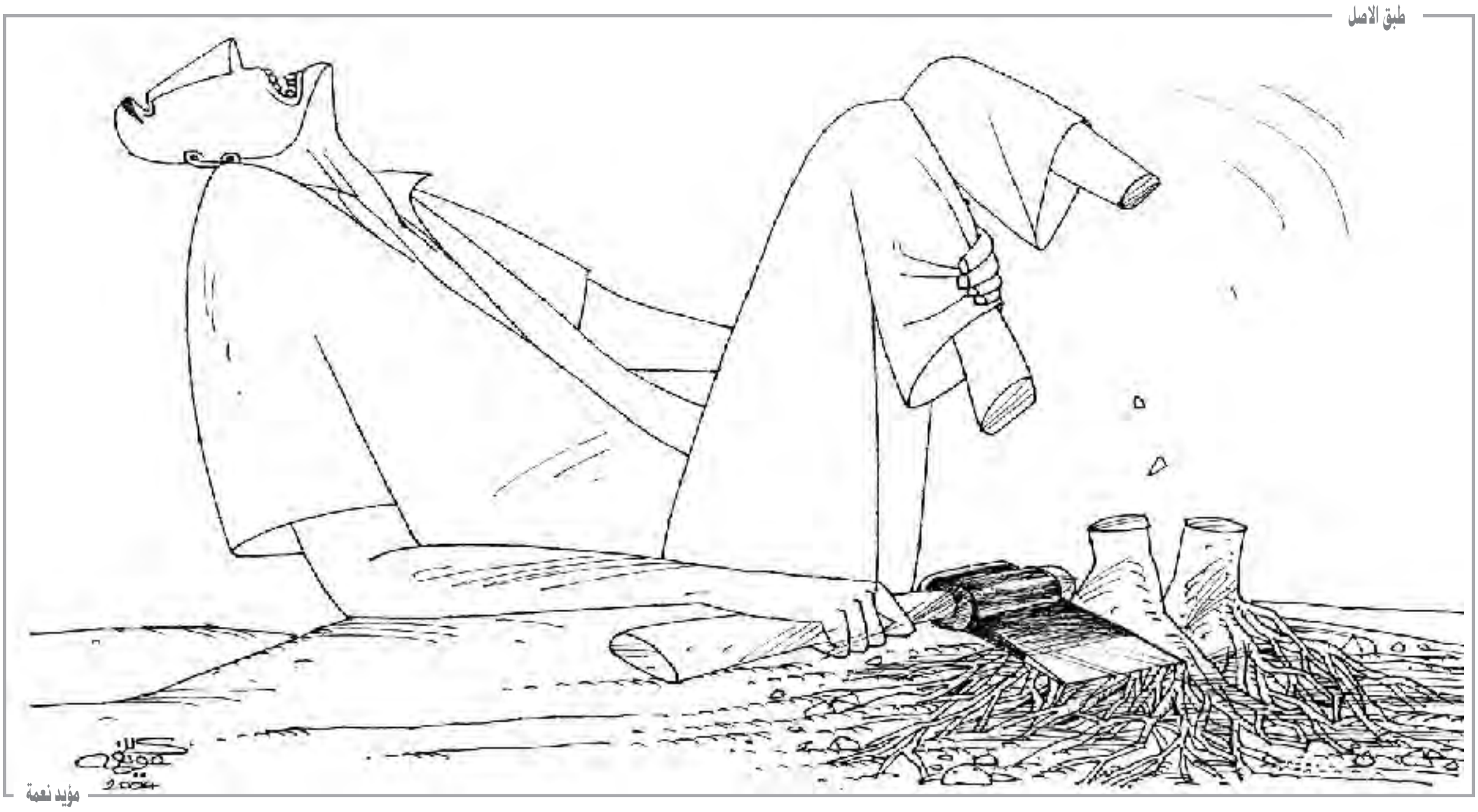

مؤيد نعمة

من الحرب الباردة نزولاً إلى إنذار اللون الأحمر: هاجس من الفزع

بقلم / لين ديوك

فتلاميذ المدارس كانوا يتدربون آنذاك على كيفية إخفاء رؤوسهم تحت مقاعد دراستهم (وكأن ذلك خير حماية من القنبلة الذرية!) أما الآن فقد أصبح هؤلاء التلاميذ آباء يديرون بدقة خطط نقل عوائلهم من مناطق الرعب إلى أماكن أكثر أمناً (ويا للعجب! ألدينا القدرة على الهرب فعلاً؟).

ها نحن نعيش ثانية في حقبة يحيط بها الرعب من كل جانب، تماماً..كما حصل لنا في منتصف القرن العشرين في أثناء الحرب الباردة.وعلى الرغم من أن هجمات الحادي عشر من أيلول قد مر عليها ثلاث سنوات حين أدخلت الولايات المتحدة في دوامة الحرب إلا أن كل علاقة تشير إلى أن الحرب ستدوم وتدوم.وقد قارنت (كوندليزا رايس) مستشارة الأمن القومي أخيراً الحرب على الإرهاب بالحرب الباردة مذكرةً أن كسب الصراع استغرق أربعين عاماً.

وهكذا ففي ثلاث سنوات قصار أصبحنا معتادين على الفزع بالفعل، ثم إن الفزع آخذ في إعادة هيكلة حياتنا وكذلك أنماط سياستنا بشكل عميق.وبخلاف انتخابات عام ألفين نتوجه الآن إلى الانتخابات وقد ارتسمت خلفنا مشاهد الخوف.فالخوف يفعل فعلته في حياتنا اليومية كيف شاء ونحن مستجيبون له بصورة متبادلة متوقعين الأسوأ كما حدث في مشهد الأسبوع الماضي حيث عثر على مسحوق أحمر في شارع (كي) وكاد يتحول إلى حادث رعب وتصاب فيه البورصة بالشلل. أجل كان كل ذلك وليد الخوف، والخوف الحقيقي بل هو مبرر ولكنه مشكلة أيضاً.ويقول بعض الباحثين أن أحد الدروس المستقاة من الحرب الباردة هو وجوب الخوف والخوف جداً فمن الخوف نصنع مجتمعاً وما عليك لتأكيد ذلك إلا أن تلفظ كلمة (مكارثية!).

ففي الحرب الباردة كنا نخشى من أهلنا المسافرين (وهم بين ظهرانينا أما الآن فنحن نخشى: المقاتلين الأعداء) ثم إن الدستور يراد تطويعه بحيث يصبح حامياً لنا ضد قلة من المجتمع. غير إن الخوف في هذا العصر خوف مختلف.

يقول البروفيسور (جير الدبوست) من قسم الطب النفسي وعلم النفس السياسي بجامعة (جورج واشنطن) ومدير سابق في مركز المخابرات المركزية الأمريكية لتحليل الشخصية والسلوك السياسي (أعتقد أن الأمر أسوأ الآن لأن الخوف أصبح من المجهول (ويردف قائلاً) عدونا اليوم مختلف جداً عن شيوعية الاتحاد السوفيتي القديم.لقد كنا نعرفهم ونعرف إننا نعتمد على إحساسهم بعدم رغبتهم في تدميرنا لأنهم لا يرغبون في أن ندمرهم) أما الآن فالعدو عبارة عن شبكة ضبابية عالمية من المقاتلين الذين لا يعرف مقتهم حدوداً ولا يلتزمون بقواعد الحرب والمتواجدون في كل مكان بل إنهم هنا الآن مستعدون لتوجيه ضربة ثانية وبخلاف أيام الحرب الباردة حيث لعب ما أطلق عليه (التدمير المتبادل المؤكد) دوراً في إبعاد بعضنا عن البعض الآخر من الوصول إلى حافة الهاوية النووية فإن أعداءنا الحاليين لا يبغون شيئاً أكثر من الموت مع ما يصاحبه من خسائر جسيمة.

وهكذا فنحن منتظرون، فلم تعد المسألة مسألة (إن) بل هي مسألة (متى) ونحن نركز خوفنا على كل مكان وهو يعني (اللامكان) لأننا لا ندري عن أي شيء نبحث.فقطارات الأنفاق تجري تدريبات على كيفية إخلاء الركاب والمصرف الدولي وصندوق النقد الدولي يعملان بصعوبة تحت درجة الإنذار ذي اللون البرتقالي من حيث كونهما أهدافاً.

ولو إننا تأملنا في حياتنا اليومية والخسائر الفادحة التي ألمت بها لأدركنا أن الخوف قد استراح من سفره واضطجع في داخل بيوتنا.لقد جعل منا يقظين غير إنه أصبح أحدث سلاح سياسي كما كان الحال أيام الحرب الباردة.وكان السيناتور (آرثر فاندنبيرغ) قد نصح الرئيس (هاري ترومان) بقوله المأثور (عليك بإثارة الفزع في البلاد) حين أراد تمرير خطته داخل الكونغرس، ويعتقد البعض أن إنذارات الفزع وقوائم الأهداف ربما تكون قد استخدمت هي الأخرى لإثارة فزع أكثر من اللازم.ويقول (مايكل ايغناتيف) مدير (مركز كار في كلية جون كيندي للحكم) بجامعة هارفرد (إن الخوف في الأساس عاطفة سياسية وبالتالي فهو عاطفة يلعب على وترها السياسيون) وعليه يجب أن نكون حذرين تجاه أي زعيم سياسي يقول لنا خافوا بل خافوا جداً فإن صوتم لي فإنكم آمنون).

وفي الحرب الباردة جرى شيء من هذا القبيل عبر (إعلان ديزي) سيء الصيت حيث أعلن (لندون جونسون) أن فوز (باري غولدواتر) عام ١٩٦٤ سيقود إلى محرقة نووية.وصفح نائب الرئيس (تشيني (النقاد هذا الأسبوع) لفعله ذات الشيء حين أعلن أن تصويتاً للسيناتور (جون كيري) سيعني توجيه الإرهابيين ضربة للولايات المتحدة ويقول البروفيسور (ديفيد ماير) من قسم علم الاجتماع والعلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا (إن السياسيين يعشقون التهديد لأنه يجعل من حياتهم أكثر بساطة وعليه يعتقد (جورج بوش) إن حظوظ انتخابه سترتفع وتزداد كلما تفنن في تصوير نفسه كزعيم فذ في محاربة الإرهاب) ويضيف قائلاً: (إن الحرب ضد الإرهاب هي الصك الذي يؤدي إلى الفوز في جميع المناظرات وإن كيري يفعل الشيء ذاته) في إشارة واضحة إلى استخدام (كيري) لسجله العسكري.

غير أن هناك شيئاً واحداً يراه (مايرز) مختلفاً عن الخوف من الحرب على الإرهاب والخوف من الحرب الباردة ألا وهو إن الخوف في فترة الخمسينيات والستينيات أصبح مبدأ ينظم الأجندة الداخلية برمتها دون أن يكون لذلك صلة مباشرة بالأمن.

ولكي نبقى أقوياء في اختبار النيات مع السوفيت كان علينا أن نبني قوتنا في الداخل.علينا أن نتقدم ونبدع في تعليمنا وخصوصاً العلوم.علينا الغوص في الفضاء وعلينا التخلص من الثغرات في مجال القيم داخل بيوتنا مثل التمييز العنصري المتفشي.ويقول (ماير) كانت الولايات المتحدة (بوقاً دعائياً في أوربا) ليس إلا لاستمرار عدم المساواة في نظام صور نفسه حراً.ثم يقول كان ذلك إلى الجانب الأسمى من الخوف حيث ساعد على دفع عجلة التغيير الاجتماعي إلى أمام.

وتلك هي ذات المعاملة التي يجب أن تطبق في الحرب على الإرهاب لأن الحرب على الإرهاب تقدم سبباً مشروعاً لتطوير البنية التحتية للخدمات الصحية وتحسين العناية في ردهات الطوارئ على امتداد البلاد.غير إنه يحذر من مغبة استغلال الخوف من قبل السياسيين لتمرير ما يريدون طوعاً أو كرهاً والحرب على العراق يمكن أن تصنف ضمن هذا التفسير طالما أن هناك الكثير ممن ساورتهم الرغبة بالإطاحة بصدام حسين قبل وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول.

إن الاندفاع الأهوج للتركيز على عدو بمفرده أو أمة عدوة بمفردها كان يتم بصورة مباشرة وهو عين الخطأ كما يقول (ستيفن فلاين) باحث كبير في مجلس العلاقات الخارجية ومسؤول عسكري في إدارتي (بوش) و(كلينتون) لأن العدو ليس دولة بل هو أيديولوجية وأسلوب عمل منظم والولايات المتحدة لم تقدم وصفاً شافياً لكيفية محاربته ثم يواصل قائلاً (الولايات المتحدة تحيا الآن على الوقت المستعار) فنحن نعود إلى حيث بدأنا.ثمة شيء سيء سيحدث قطعاً.ويالها من حالة فزع على مصائرنا تلك التي نحياها) كما يكتب (فيكتور دافيس هانسون) المصنف والمؤرخ العسكري في معهد (هوفر).

فما الذي سنفعله إذن؟ وبأي عصاً غليظة نستطيع درأه؟ ثم على من وبأي موقع عسانا صابين جام غضبنا إن أصابنا ما أصابنا؟ ولدى (هانسون) فكرة وجيهة، الحرب على الإرهاب نسخة أخرى من (التدمير المتبادل المؤكد) زمن الحرب الباردة واستراتيجية (مستهدف للتدمير).

وقبل وقوع هجوم آخر فإن الولايات المتحدة ستصدر قائمة طويلة عريضة بقواعد عسكرية ومحطات توليد للطاقة ومنشآت اتصالات وبنية تحتية منتقاة ليتم تدميرها في أي بلد يدعم الإرهابيين أو يؤويهم.

هذا ما يذكره (هانسون) غير ان استراتيجية تتجاهل حقيقة أن الإرهابيين لا يحتاجون إلى دول للعمل من داخلها.ويطلق (هانسون) على ذلك اسم (الطبيعة المرعبة للحرب الحقيقية) ويضيف قائلاً (إن العالم لا بد أن يعبر عن اشمئزازه بمجرد التفكير بذلك وأن يتوقف عن النظر إلى (الحرب ضد الإرهاب) على إنها (لعبة تسلية).

نعم هناك خوف يحيط بنا من كل جانب وبكل تأكيد هو شبيه بطفح جلدي يدعوك إلى حكه حتى ينزف دماً.

ويقول (فلين) مقتبساً عن جنرال يعرفه (إن الضرر الحقيقي هو الذي نلحقه بأنفسنا..ذلك عندما يتولد لدينا إحساس بعطب عام وذلك حين يلعب السياسيون على عقدة خوفنا..حينها يكون الضرر قد وقع بالفعل).

ترجمة: كاظم الحلفي
عن: (واشنطن بوست)

> حين نعود إلى الوراء نجد القوائم السود وإن نظرنا الآن لوجدنا قوائم بمناطق حظر الطيران وإن أعدنا الكرة للوراء ثانية ارتسمت أمامنا ساعة يوم العذاب وإن عدنا إلى ما نحن فيه الآن لكنا أمام شبح رعب يحمل إنذار اللون الأحمر.

ليس بوسع (بوش) ان يقف مكتوف اليدين ازاء ايران

بقلم / ماكس بوت

اخذت الضجة الاعلامية الخاصة بوجود (عميل) اسرائيلي مندس في صفوف (البنتاغون) تنحسر رويداً رويداً اسرع من انحسار حملة (كيري) ويبدو ان هذا الشخص الذي يعمل محلل نظم لم يكن مذنباً بالتجسس مثلما طُبل وزمر بقدر ما كان ذنبه اساءة التعامل مع وثيقة سرية وحسب ما ورد في التقارير الاخبارية فإن الوثيقة المتهم بتمريرها الى انصار اللوبي الاسرائيلي لم تكن الا دعوة لدعم امريكي لمنشقين ايرانيين بهدف قلب نظام الحكم وقد لا تصلح تلك القضية لنسبح قصة تجسس الا انها تثير تساؤلاً في غاية الاهمية مفاده: لماذا لم ينفذ (بوش) فحوى التوصيات في الوثيقة كما اشارت الانباء؟ ويبدو ان الامر كان في صالح اتخاذ اجراء معين بصورة ساحقة في ضوء تحذير (بوش) المشهور. (اما ان تكون معنا او مع الارهاب) وليس هناك ادنى شك في الجهد التي تقف معها ايران فوزارة الخارجية وصفت ايران بـ (الدولة الناشطة الاكبر تمويلاً للارهاب في العالم). وان الكثير من دعمها هذا يذهب الى مجموعات مثل حزب الله وحماس بل ان اللجنة الخاصة بالتحقيق في احداث الحادي عشر من ايلول ان اعضاء القاعدة ومن بينهم عشرة من المشتركين في الهجمات بالطائرات على الولايات المتحدة سمح لهم بالتنقل عبر الاراضي الايرانية واتخاذها محطة مرور من والى معسكرات التدريب في افغانستان وهناك عدد من اعضاء القاعدة ما زالوا في ايران ومن بينهم زعماء كبار تدعي ايران انهم تحت الاقامة الجبرية وان كان اقوى الاحتمالات يشير الى اطلاق يدهم للقيام بأعمالهم الدموية.

الكل يذكر قول الرئيس الاسبق هاشمي رفسنجاني حين اعلن في خطبته في نيسان ان (الموقف في العراق يشكل تهديداً لأن الوحش الامريكي الجريح قد يقوم بإتخاذ اجراءات غاضبة وهذا يعطينا الفرصة السانحة كي نلقن هذا الوحش درساً فلا يجرؤ على مهاجمة بلد آخر. وما الذي يقلق ايران من هجوم تشنه الولايات المتحدة؟ انه قرب انتاجها لقنبلة نووية اضافة الى عملها الدؤوب على انتاج صواريخ يصل مداها اوربا وامريكا الشمالية وإن كان اوفر الاحتمالات حظاً بقيت في صالح تدعيم شبكتها الارهابية وكما تبجح اخيراً احد كبار مسؤولي الحرس النووي (حسن عباسي) حين قال: (ان استراتيجية ايران التي تسير عليها هدفها تدمير الحضارة الانكلو- سكسونية) وعلى الرغم من هذا التهديد الخطير والاخذ في الازدياد نجد (جون كيري) يدعو الى التهدئة فهو يجنح نحو القيام بمبادرة تجاه ايران تتخلى بموجبها الاخيرة عن اسلحتها النووية مقابل تقديم تنازلات امريكية مثل مساعدتها على بناء مفاعلات نووية (مدنية) وليس هناك من سبب يدعو الى الاعتقاد بنجاح اقتراح كهذا اكثر مما حصل مع كوريا الشمالية عام ١٩٩٤ . وان فإيران خرقت بالفعل اتفاق ٢٠٠٣ مع بريطانيا وفرنسا والمانيا بخصوص لجم نشاط اسلحتها النووية ثم ان الايرانيين ماضون دون رجعة ومتحمسون الى الدخول الى الحلبة النووية وهم لن يتخلوا عما وصفه محرر في احدى الصحف الايرانية بـ (الجوهرة النادرة التي كدحنا لها كدحاً) فإن لم يكن بمقدورنا وضع الثقة في اية صفقة مع ايران فليس امامنا من بد الا انتهاج تصعيد المواجهة دون ان تستثنى الضربة العسكرية غيرانه يصعب علينا ان نندفع بصورة هوجاء دون معلومات استخباراتية تفوق تلك التي تخص اسلحة الدمار الشامل العراقية.. ومن حسن الحظ فإن في ايران حركة معارضة متينة تجعل من اي تغيير سلمي من الداخل بديلاً سليماً وامراً واقعاً.

ويزعم من نصبوا من انفسهم واقعيين ان مستبدي ايران لا يمكن زحزحتهم قيد انملة عن مواقعهم وذلك هو قولهم في الحكام السوفيت من قبلهم حتى جاء امر سقوط حائط برلين. وكما هو جارٍ في الكتلة السوفيتية فإن غالبية الشعب الايراني فاقدة للثقة بحكامها بل وصلت شجاعة الكثير منهم الى تحدي النظام بالنزول الى الشوارع فإذا ما نجحوا في اقامة حكومة تمثلهم فلا يهم حينئذ امتلكت ايران قنبلة نووية ام لم تمتلك كما هو حاصل في الهند واسرائيل وفرنسا واي دولة ديمقراطية اخرى تمتلك اسلحة نووية وعلى العكس تماماً فإن ممولي الارهاب في ايران سيظلون مصدر تهديد عظيم حتى وان افتقدوا الى الاسلحة النووية فالذي يهم هو التركيز على طبيعة النظام القائم لا طبيعة الاسلحة التي بحوزته.

لقد امر (بوش) بالحاجة الى احداث الديمقراطية في الشرق الاوسط ومع ذلك لا يبدو مقدماً وبكل غرابة ما يكفي من العون الى المقاتلين في سبيل الحرية من الايرانيين وذلك ما ورد على لسان نائب وزير خارجية (بوش) نفسه حين اعلن ان تغيير النظام ليس من سياسة الولايات المتحدة وآمل ان يكون ذلك مجرد مناورة ذكية تخفي وراءها ما هو ادهى غير اني اخشى ان يكون هو الحقيقة بعينها. ويبدو شلل الادارة تحت حكم (بوش) واضحاً بخصوص ايران ومناطق اخرى كثيرة من العالم بسبب انقسام الادارة بين صقور وزارة الدفاع وحمائم وزارة الخارجية وان لم يقم (بوش) بكسر حالة الجمود المستعصية هذه فإنه سيصيب بالضرر الجسيم ما يزعم عن طرح نفسه بين الفينة والفينة كقائد حازم في الحرب على الارهاب.

ترجمة / كاظم الحلفي
عن / لوس انجلوس تايمز